رسالتا الطير

للرئيس ابن سينا وللشيخ الامام محمد الغزالي

توطئة

من جملة الرسالات الفلسفية التي صنّفها ذلك الرئيس الامام والنّلامة المقدام الشيخ ابو علي الحسين المعروف بابن سينا رسالة موسومة باسم « الطير » ذكرها الجوزجاني تلميذه في قائمة مصنّفاته التي اثبتها ابن ابي أصيبعة في كتاب طبقات الاطباء (٥:٣) ودعاها بكتاب « الشبكة والطير » . . اما الحاج خليفة فدعاها في كشف الظنون (٤١٨:٣) « رسالة الطير » ليس الّا . وهذا الكتاب من الطف ما وضعهُ الشيخ الرئيس يبيّن فيهِ حالة الانسان قبل تجرّده من عالم الهيولى ثمّ حصولهُ على رؤية الحقيقة سبحانهُ وتعالى . وقد أبرز ذلك على صورة تخيليّة وهي رمز الطير يقع في شباك العدوّ ولا يزال يحاول النجاة منها الى أن يحظى بالخلاص بجدّه وثباته

وهذه الرسالة كان سبق المستشرق الشهير الدكتور مهرن (Mehren) فنشرها في جملة رسائل أخر لابن سينا وهي مطبوعة في مدينة ليدن سنة ١٨٩١ نقلًا عن اربع نُسخ وجدها في مكتبتي لندرة وليدن وقد اضاف الى اصلها العربي ترجمة افرنسيّة مع بعض شروح اخذها من تفسير فارسي لهذه الرسالة ألّفهُ عمر بن سهلان الساوجي وهو مصون في خزانة كتب لندرة (راجع الصفحة ٤٥٠ من قائمة كتبها العربيّة) . على انّنا قد احببنا إعادة نشر هذه الرسالة في مجلّتنا لاسباب منها ان هذه الرسالة من الرموز اللطيفة التي يأنس بذلها الشرقيون فضلًا عن انها لرجل عظيم لهُ في قلوبهم مقام جليل . ومنها انّنا عثرنا على نسخة مضبوطة تصلح بعض الاغلاط التي وقعت في الطبعة اللّيدنيّة او تضيف اليها روايات حسنة تزيد في فائدتها . ومنها ايضًا وهو اخصّ الاسباب التي حدت بنا الى نشر هذه الرسالة اننا عثرنا برسالة ثانية للشيخ الامام محمّد الشهير بالغزالي وسمها ايضًا باسم الطير وقد ذكرها الحاج خليفة في مجموعهِ الّا ان العلماء حتّى الان لم يقفوا لها على اثر وسننشرها في عدد آخر ان شاء الله وقد قدّمنا رسالة ابن سينا ليتمكّن القرّاء من المقابلة بينهما

امّا هاتان الرسالتان فقد وردتا في مجموع رسائل ذكرناهُ غير مرّة في المشرق وعنهُ اخذنا كتاب مكارم الاخلاق للثعالبيّ (المشرق ٣:٢٨) وكتاب السياسة للفارابي (٦:٦٤٨)

(٥١٦) بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

قال [الشيخ ابن سينا] اكرم الله مثواه : هل لاحد من اخواني في ان يَهب لي من

سمعه قدرَ ما أُلقي عليه (١ طرَفاً من اشجاني (٢ عساهُ ان يتحمّل عني بالشركة بعض أعبائها فانّ الصديق لن يهذّب عن الشوب اخاهُ ما لم يَصُنْ (٣ في ضرّائك وسرّائك صفاءهُ. وانّى لك بالصديق المماحض وقد جُعلتِ (٤ الخلّةُ تجارةً يفزع اليها اذا استدعت القلوبَ (٥ الى الخليل داعيةُ (٦ وطرٍ وتُرفض مراعاتها اذا حدث الاستغناء (٧ فان يُزار رفيق الّا اذا زارت عارضةٌ ولن يُذكر خليل الّا اذا ذُكرت مأربةٌ اللهمّ الّا اخوانٌ جمعتهم القرابة الالهيّة والّفت بينهم المجاورة العلويّة فلاحظوا (٨ الحقائق بعين البصيرة وجلوا دَرَن (٩ الشكّ عن السريرة فلن (١٠ يجمعهم الّا منادي الله

ويلكم اخوان الحقيقة باثُوا وتضامّوا (١١ وليكشفنّ كلُّ واحدٍ منكم لاخيه الحجُب عن خالصة لبّه ليطالع بعضكم بعضاً ويستكمل (١٢ بعضُكم ببعض. ويلكم اخوان الحقيقة تقنّعوا كما يتقنّع (١٣ القنافذ فأعلنوا (١٤ بواطنكم وأبطنوا ظواهركم فبالله انّ الجليّ لباطنكم وانّ الخفيّ لظاهركم

ويلكم اخوان الحقيقة انسلخوا عن جلودكم انسلاخ الحيّة ودبّوا دبيب الديدان (١٥ وكونوا عقارب اسلحتُها في اذنابها فانّ الشيطان لن يُراوغ الانسان الّا من ورائه. وتجرّعوا الذُعاف تعيشوا واستحبّوا الممات تحيوا. وطيروا ولا تتخذوا وكراً تتقلبون اليه فانّ مصيدة الطيور اوكارها. وان صدّكم عوز الجناح فتاصّصوا تظفروا فخير الطلائع ما قوي على الطيران. كونوا نعاماً تبتلع (١٦ الجنادل الحماة (١٧ وافاعي تسترط العظام الصابة وسمادل تغشّ الضرام على ثقة (١٨ وخفافيش لا تبرز نهاراً (١٩ فخير الطيور خفافيشها

---

* دللنا على نسخة ليدن بحرف (ل) وعلى الروايات الواردة في هامش نسختنا بحرف (ه) وعلى النسختين بالحرفين معاً (ل. ه)

١) ه: أُلقي اليه
٢) ل: اشجاني وهو تصحيف
٣) ه: يَصُفْ
٤) ل: جعلتَ
٥) ل ه: استدعتهُ
٦) ه: من داعية
٧) ه: اذا عرض للاستغناء قدرَ
٨) ل: ولاحظوا
٩) ل و ه: وجلوا وسخ ودرَن
١٠) ه: فلم
١١) ل: وتصابوا
١٢) ل: ولستكمل
١٣) ل: تقنّعوا . . . يتقنّع
١٤) ل: وأُطنوا
١٥) ه: دبيب النمل
١٦) ه: تلتقم. ل: تلتقط. شبّه الانسان الروحي في انتصاره على الشهوات بالنعام الذي يبتلع الحديد والحجارة
١٧) ل: الحمّيات والحميّة
١٨) كان القدماء يزعمون انّ السمندل (salamandre) يحيا في النار
١٩) كما انّ الخفافيش لا تطير في النهار كذا الانسان الروحي يحرب من عشرة البشر

ويلكم اخوانَ الحقيقة أغبى الناس (١ من يجترئ على غدهِ وافشلُهم من قصَّر عن أمدهِ . ويلكم اخوانَ الحقيقة لا غرو (٢ إن اجتنب ملاكٌ سوءًا او ارتكبت بهيمةٌ قبيحًا بل العجب من البشر اذا استعصى على الشهوات وقد صيغ (٣ على استنثارها صورتهُ او بذل لها الطاعة وقد فُوِّر بالعقل جبلَّتهُ . ولعمر الله (٤ بذَّ (٥ الملاكَ بشرٌ عند زيال الشهوة فلم تزلَّ قدمهُ (62ᵛ) عن موطنهِ فيهِ وقصَّر عن البهيمة انسيٌّ لم تنفر قراه بدوٌ شهوةٍ (٦ تستدعيه . وأرجعُ الى رأس الحديث فاقول:

قصَّة الطير

برزت طائفةٌ تقتنص فنصبوا الحبائل ورتبوا الشرَك وهيَّأوا الطُّعم (٧ وتواروا في الحشيش (٨ وانا في سربة طير اذ لحظونا فصفروا مستعدين لنا فاحسسنا بخصب واصحاب ما تخالج في صدورنا ريبة ولا زعزعتنا عن قصدنا تهمة . فابتدرنا اليهم مقبلين وسقطنا في خلال الحبائل اجمعين . فاذا الحلق تنضمُّ على اعناقنا والشرَك تتشبَّث باجنحتنا والحبائل تتعلَّق بارجلنا فنزعنا الى الحركة فما زادتنا الَّا تعسيرًا (٩ . فاستسلمنا للهلاك وشغل كلٌّ واحد منَّا ما خصَّهُ من الكرب عن الاهتمام لاخيهِ (١٠ واقبلنا نتبيَّن (١١ الحيَل في سبيل التخلُّص زمانًا حتى أُنسينا صورة امرنا واستأنسنا بالشرَك واطمأننَّا الى الاقناص

فاطَّلعتْ ذات يوم (١٢ من خلال الشرَك (١٣ فلحظتْ رفقةً من الطير أخرجت رؤوسها واجنحتها عن الشرَك وبرزت عن اقناصها تطير وفي ارجلها بقايا الحبائل لا هي تزودها فتعصيها (١٤ النجاة ولا تبينها فتصفو لها الحياة فذكَّرتني ما كنتُ أُنسيتهُ ونغَّصتْ عليَّ ما ألفتهُ فكدتُ انحلُّ تأسُّفًا او ينسلُّ روحي تلهُّفًا فناديتهم من وراء القفص أن: أدنوا (١٥ مني توقفوني على حيلة الراحة فقد أعيتني امور العويصة (١٦ . فتذاكروا (١٧

---

١) ل: اغنى الناس . وهو غلط ٢) ل ٨: لا عجب
٣) ل: وقد ضيَّع . وهو غلط ٤) ٨: وايم الله
٥) ل: بذَّ . وهو غلط . وبذَّ اي غلب ٦) ٨: شهوته التي
٧) ٨: الاطعمة ٨) ل: العشب ٩) ٨: تعسُّرًا
١٠) ٨: باخيهِ ١١) ٨: على تبيُّن ١٢) ٨: يومًا ١٣) ل: الشبك
١٤) ل: فتصبها . وهو تصحيف ١٥) ل ٨: اقربوا
١٦) ل: فقد اعتني (وهو تصحيف) طول القام ١٧) ل: تذكَّروا

خُدَع المقتنصين فما زادوا الّا نفاراً فناشدتهم بالحكمة القديمة والصحبة المصونة والعهد المحفوظ ما احلّ بقلوبهم الثقة ونفى عن صدورهم الريبة . فوافوني حاضرين فسألتهم عن حالهم فذكروا انهم أبتُلوا بما ابتُليتُ به فاستيأسوا واستأنسوا بالبلوى . ثمّ عالجوني فنحّيت الحبال عن رقبتي والشرّك(١ عن اجنحتي وفُتح باب القفص وقيل لي : استغنم النجاة(٢. فطالبتهم بتخليص رجلي عن الحلقة فقالوا : لو قدرنا عليه لابتدرنا اولًا وخلّصنا ارجلنا وأنى يشفيك العليل (٣ . فنهضت عن القفص اطير فقيل لي : انّ امامك بقاعاً لم تأمن المحذور الّا ان تأتي (٤ عليها قطعاً فاقتفِ آثارنا تنجُ بك ونهدِك الى سواء السبيل

فساوى بنا (٥٤٢) الطيران بين صدفي جبل الاله في وادٍ معشب خصيب بل مُجدب جريب(٥ حتى تخلّف عنّا جنابهُ وجزنا جيرتهُ (٦ ووافينا هامة الجبل . فاذا امامنا ثماني شواهق تنبو عن قُلالها اللواحظ وقال بعضنا لبعض : سارعوا فانّا لا (٧ نأمن الّا بعد ان نجوزها ناجين . فتعانقنا (٨ الشدّ حتى اتينا على ستّ (٩ من شواهقها(١٠ وانتهينا الى السابع . فلمّا تململنا تحوّمهُ قال بعضنا لبعض : هل لكم في الجمام فقد اوهنّا النصَب وبيننا وبين الاعداء مسافة قاصية . فرأينا ان نخصّ (١١ للجمام من ابداننا نصيباً فان الشرود على (١٢ الراحة اهدى الى النجاة من الانبتات

فوقفنا على تلّةٍ فاذا جنان مخضرّة الارجاء [ممتدة الافياء .(١٣] عامرة الاقطار مثمرة الاشجار جارية الانهار كثيرة الازهار يروي بصرك نميرُها بصُوَر تكاد لبهائها تدهش العقول وتستبهت الالباب وتسمعك اغاني شجيّة والحانًا مطربة (١٤ وتُشمّك روائح لا يدانيها المسك الذّريّ ولا العنبر الطريّ . فأصبنا(١٥ من ثمارها وشربنا من انهارها وشممنا من ازهارها ومكثنا بها ريثما أطرحنا الاعباء . فقال بعضنا لبعض : سارعوا فلا

---

١) ه : والشبكة ٢) ه . اغتنم باب النجاة
٣) ه : أنى يسقيك الفليل (كذا) ٤) ل : نأمن . . . تأتي
٥) ل : خريب ٦) ل : جيرتهُ . وهو تصحيف
٧) ل : فلن ٨) ل : فعانقنا ٩) ل : ستّة
١٠) ه : شواهق ١١) ل ه : نخصّ ١٢) ه : الى
١٣) ورد هذا في الهامش ١٤) ل : مطربة لآذاننا ١٥) ل ه : فاكلنا

مخدعةً كالامن ولا منجاة كالاحتياط ولا حصن امنع من اساءة الظنون وقد امتدَّ بنا المقام بهذه البقعة على شفا غفلةٍ ووراءنا اعداؤنا يقتفون أقدامنا (١ ويتفقّدون مقامنا فهلمّوا نبرح ونهجر هذه البقعة وان طاب الثواء بها فلا طيب كالسلامة

فاجمعنا على الرحلة وانفصلنا عن الناحية وحللنا بالثامن منها فاذا شامخٌ خاض (٢ رأسهُ في عنان السماء تسكن جوانبهُ طيور لم ألتقِ اعذب الحانًا وأحسن ألوانًا واظرف صورًا واطيب عشرةً (٣ منها. ولمَّا حللنا في جوارها عرفنا من إحسانها وتلطُّفها وايناسها (٤ ايادي لم نقضِ (٥ بقضاء أهوَنها (٦. [وان قصرنا عليه مدَّة عمرنا بل استددنا اليه اضعافًا (٧]

ولمَّا تقرَّر بيننا وبينها الانبساط اوقفناها على ما الم بنا فاظهرت المساهمة في الاهتمام وذكرت انَّ وراء هذا الجبل مدينةً يتبرَّأها الملك الاعظم وايُّ مظلوم استعداهُ (٨ وتوكَّل عليه كشف عنهُ الضرَّاء بقوَّته ومعونته. فاطمأننَّا الى اشارتها وتيمَّنا (٩ مدينة الملك حتى حللنا بفنائها (١٠ منتظرين لاذنه ورضائه. فخرج الامر باذن الواردين (٥٤) وادخلنا قصرهُ فاذا نحن بصحن لا نضن (١١ وصف رحبه. فلمَّا عيناهُ رُفع لنا الحجاب عن صحن فسيح مُشرقٍ استضفنا لديه الاول بل استصغرناهُ حتى وصلنا الى حجرة الملك

فلمَّا رُفع لنا الحجاب ولحظ الملكَ في جماله مُقلُنا عَلقت به افتدتنا ردهشنا دهشًا عاقنا عن الشكوى. فوقف على ما غشيَنا فردَّ علينا الثبات بلطفه (١٢ حتى اجترأنا على مكالمته وعبَّرنا بين يديه عن قصتنا فقال: لا يقدر (١٣ على حل الحبائل عن ارجلكم الَّا عاقدوها واني منفذ اليهم رسولًا يسومهم ارضاءكم واماطة السوء عنكم فانصرفوا مغبوطين

وهوذا (١٤ نحن الان في الطريق مع الرسول واخواني متشبّثون بي يطلبون مني

---

١) ل: آثارنا ٢) ه: خاص ٣) ل: معاشرة
٤) ل: مما تفضَّلتنا به ٥) ل: لن نقي. ه: لم نفي ٦) ه: ادوها
٧) جاء هذا في نسخة لبدن ٨) ه: استدى به ٩) ه: ويمَّنا
١٠) ه: بفنائه ١١) ل: يتضمَّن ١٢) ل: بلطفه
١٣) ل و ه: لن يقدر ١٤) ه: وها نحن ذا

حكاية بهاء الملك بين ايديهم وسأصفهُ وصفًا موجزًا فاقول: انهُ الملك الذي مهما حصَّلت في خاطرك جمالًا لا يعازجهُ قُبح وكمالاً لا يشوبهُ نقص صادفتهُ مستوفى لديه. وكل كمال بالحقيقة فهو حاصل لهُ وكل نقص ولو بالمجاز منفيٌّ عنهُ. كلُّهُ لحسنهِ وجهٌ ولجودهِ يدٌ. من خدمهُ فقد اغتنم السعادة القصوى ومن صرمهُ (١ فقد خسر الآخرة والدنيا (٢

وكم من اخ (٣ قرع سمعهُ قصَّتي فقال: اراك مسَّ عقلك مسٌّ (٤ او ألمَّ بك لممٌ (٥ وما والله ما طرتَ بسل طار عقلك وما اقتُنصت بل اقتُنص لُبُّك انّى يطير البشر او ينطق الطير كانَّ المرار قد غلب في (٦ مزاجك واليبوسة قد استولت على دماغك وسبيلك ان تشرب طبخ الافثيمون (٧ وتتعهد الاستحمام بالماء العذب الفاتر وتستنشق بدهن النيلوفر وتترفَّه في الاغذية (٨ وتهجر السهر وتقلّ الفكر فانًا عهدناك فيما خلا لبيبًا (٩ والله مطَّلع على ضمائرنا فانها من جهتك بهتة ولاختلال حالك منتتة (١٠ ما اكثر ما يقولون واقلَّ ما ينجع وشرُّ المقال ما ضاع وباله الاستهانة وعن الناس البراءة ومن اعتقد عني هذا فقد خسر وسيعلم الذين ظلموا ايَّ مُنقلَب ينقلبون

تمت الرسالة الملقَّبة رسالة الطير للشيخ الرئيس ابي علي بن سينا وفه الحمد بلا نهاية والصلاة على رسولهِ خير البريَّة (ويليها في عددٍ قادم رسالة الطير للغزالي)

الزئبق معادنهُ وخواصُّهُ

نبذة للاب ر. ش. اليسوعي

افاد من البقاع مراسل جريدة البشير (في عددها الاخير الصادر في ٢٣ ايلول) انهُ شاع على ألسنة القوم «خبر وجود آثار معدن من الزئبق في عين صوفر». . . (قال) «وقد وجدوا ايضًا في موقع آخر من لبنان كميَّة كبيرة من الزئبق بينما كانوا يحفرون على

---

١) ٥: حاد عنهُ ٢) ٥: والاولى ٣) ٥: صديق
٤) ل: مُسَّ عقلك مسًّا ٥) ٥: ملمٌّ ٦) ل ٥: على
٧) الافثيمون (ἐχθυμον, cuscute) نبات شبيه بالصفر يشربهُ من أُصيب بالمرَّة السوداء
٨) وفاد في ل: وتستأثر منها الحمية وتتجنَّب الماء
٩) وجاء في ل: وشاهدناك فطنًا ذكيًّا ١٠) ل و ٥: بهتة